

بدر السيّاب والمرفا العاطفي

بقلم د. زيدي الأمير

بلاده حين استقرت الاحوال فيها . كان بدر ذكيا موهوبا خلّاقا ولكن لم يكن يفقه شيئا عن التوقيت . في حياة كل فرد احداث كبيرة واخرى صغيرة وليست الاحداث الكبيرة هي دائما الامر الاعم الذي يقرر مصير الفرد او الذي يسم له خط الحياة . فهناك صدف صغيرة وصغيرة جدا تمر على الناس ويشترك في الحادثة الواحدة اكثر من فرد واحد فتكون لبعضهم حوادث عابرة وللآخرين حوادث مفررة تخطط لهم الطريق .

في احد الايام وفي احد اروقة كلية التربية فسي جامعة بغداد ، ربتت كف بضة انيقة على كتف بدر تشجعه على التغزل في صاحبها ، ويعجب بدر لما يسمع ويحمر وجهه ولا يصدق اذنيه . هذه الحسناء المدللة تهتم بغزله فيها؟! وتؤكد هي له ذلك وتطلب منه ان يسمعها كل ما ينظم فيها من الشعر . ويظن بدر انه وجد الصدفة التي طالما حلم بها وخاطب (شقيقة زوجه) على حد تعبيره . في قصائد طوال تكاد تشمل معظم قصائد ديوانه (ازهار ذابلة) واذكر منظره في امسياته الشعرية وهو يلقي قصائد الحب تلك . كان يبكي وهو يلقيها ونظرب نحن السامعين لما يقول . ماذا كنا ندفع ثمنا لهذا الطرب؟ وماذا كانت تدفع (شقيقة الروح) ؟ لا شيء غير الاصغاء، وكانت نفس الشاعر تتمزق وهو يلقي عبارات الحب صيغت على احلى ما يكون التصوير للعواطف .

وتأتي صدفة اخرى ليست عابرة في حياة بدر او شقيقة روحه . اذ تزوج الحسناء من احد اثرياء العراق . ويقال ان هذه الحادثة هي السبب المباشر وراء انضمام بدر الى اليسار .

واستمرت الاحداث الصغيرة تمر على حياة بدر ولم تكن عابرة كأن يلتقط منديلا سقط من زميلة ، ولا ادري ان كان يرجع المنديل او يحتفظ به ، او تكون الحادثة نظرة سريعة يترصدها في احد دهاليز كلية التربية الكثيرة الطويلة . وقد تطول الحادثة الى ان تصبح جلسة قصيرة على احد المقاعد في حديقة الكلية وقد يكون ذلك المقعد في ظل شجرة يسمح فيؤها باطالة الجلسة . اما اذا كان المكان ليس قريبا جدا من نظرات الفضوليين فله الفضل في انتاج عشرات القصائد .

هذه احدى الصور التي عاشها بدر وجيل من الشبان والشابات في مجتمع يفترض في الفرد كل شيء عدا كونه انسانا يحس ويريد التعبير عن هذا الاحساس

بدأ انتاج بدر السيّاب الشعري بمخطوطة (لديوان شعر كله غزل) لا تزال غير مطبوعة ، وانتهى بديوانه (شناسيل بنت الجلي) . وبين هاتين المجموعتين اصدر بدر عددا من المجموعات منها (ازهار ذابلة) و (المومس العمياء) و (حفار القبور) و (انشودة الطر) و (منزل الاقنان) و (المعبد الفريق) .

بدأ بدر بقول الشعر الغزلي وانتهى به . وبين البدء والانتهاء قال كثيرا في غير الغزل ، ولكن اتراه كان سيقول ذلك لو كان اكثر وسامة او كان غنيا او عاش في مجتمع لا يرى حق الابانة عن المشاعر محصورا في اناس معينين؟ لن اتحدث عن شاعرية بدر ، ما يهمني الحديث عنه هو بدر الانسان ، بدر الفرد الذي جاء الحياة يحمل معه كل المقدرة على المحبة والعطاء وتذوق الجمال ، ويحمل مع هذا موهبة شعرية فذة وذكاء فطريا خارقا .

جاء الحياة الى قرية من اجمل بقاع جنوب العراق حيث يفعل النخيل والشط والرمال ، وحيث يسمح لهذا النخيل ولهذا الشط ولهاته الرمال ان تستجيب للجمال فتداعب وتتراقص ولا يسمح للانسان ، وهو الانسان ، ان يعلن عن تحبسه للجمال اذا اقترن بعاطفة تتعدى الغزل بالطبيعة الى التغزل بالانسان ، المظهر الاجمل من صور الخالق .

جاء الحياة الى مجتمع يرى من مظاهر الرجولة الا يطلب الرجل حنانا وان لا يمنحه ، اذا طلبه ، بسخاء . ولكن من المظاهر المرغوب فيها كثيرا ان يكون الفرد غنيا ووجيها وان يكون وسيما .

لم يكن بدر وسيما ولم يكن غنيا ولم يكن من الوجهاء . ولم يفقر المجتمع له هذا . فقد لاحقه بهذه الحقائق حين احب وحاربه حين اراد الاعلان عن هذه العواطف وعاقبه حين فشل في التغلب على هذه المقاييس ، وبدأ يحس اخطاه حين مات الرجل :

ماذا كان يملك بدر من هيزات ترضي المجتمع ؟ وماذا اعطاه هذا المجتمع ليرضى بدر عنه ؟ وماذا فعل بدر بهذه النفس المهرفة الى حد الوجع ، وبهذا الذكاء الفطري الخلاق ؟ كيف نفس بدر عما في قلبه الغني ؟

يقولون ان بدر كان متقلبا في مواقفه السياسية . كان بدر يساريا في العهد الملكي ، وحارب الشيوعية فترة عزها ، واحتاج مساعدات مالية من منظمات غربية ليعالج من مرضه حين بدأ ينتصر الخط العربي ، ومات بعيدا عن

حين توقف الزمن

الى ذكرى الصديق الفقيه بدر شاكر السياب

كثيما دونما عينين اعبر في دروب القيط

امسح صدري العاري

وخلفي الف طفل يصرخون : « الماء أين الماء

يا نبعاً من القار »

و « يا دجال ، يا دجال أين ظلالك الثره ؟

وأين الدار والآباء ، أين فراتنا الجاري

وطعم النوم في جنبه في ضحوات أيار ؟! »

.. ويهصرني الضجيج ، عصيا بين أطمار !.

وصمت لصيقي الانسان ، رؤياه الجليدية ،

زحار في بيوت النمل ، رعب في الشوارع

ليلة العيد

و « حسون » الذي في الصيف يحضن طيف أيار

يسائل عن فراشات مضين بقلبه المتعب

ويقرأ في كتاب الليل : جدي كان سيفاً انبتته

الشمس في صحراء من نار

ورث لثامه النجدي ، زنجر سيفه

وحصانه أجرب

وصمت لصيقي الانسان ، رؤياه التي

جفت فلا تفر الدراك في المواعيد

مضت « جيكور » لارجع النحيب المر

عذب كالآغاريد

ولا جيكور في جيكور او « باب الاساطير »

تفتح عن رؤى الاطفال في « حقل من النور »

تخلى عن « بويب » النبع واعتكف الردى في
قعره الخاوي

وحقق في كوى جيكور رعب كالدياجير .

وفوق ذوابل الاعناق ، تحمل نعشها العاري

مشت جيكور في الصحراء بالنخل الذي فيها

وبالازهار والاطفال ، تحمل « بدرها » الهاوي

وحطت في القفار السود حيث توقف الزمن

لتسدل ليلها المنسي خلف الدهر ، رملا ،

كف حفار .

عبد الامير الموسوي

بفداد

او الاعلان عنه .

لم يرد بدر من الحياة غير ان يجد من يعطيه قليلا
مقابل الكثير الذي يوزعه على الطيور الغريبة . ترى لو
عاش بدر حياة عاطفية طبيعية فيها حنان الام ودفء
الاسرة وعرف تجارب حب حقيقية ، ولو كان وسيما او
كان غنيا ، ولو لم تربت كف بضة انيقة على كتفه يوما
فكيف كنا سنعرفه كشاعر ؟

وما ان وجد بدر اخيرا المرفأ العاطفي وبدأ يستقر
نفسيا وهو محاط بزوجه واولاده وغفر للايام كل اساءاتها
حتى جاءه المرض . ولحاجته الى العلاج سافر الى خارج
العراق . وهكذا عرف شاعر العرب الكبير والذي يقولون
ان شعره يؤرخ كנקطة تحول في الشعر الحديث ، اقول
عرف بدر محيطا حديثا في تجارب مرضية وعلاجية
جديدة .

تجربة التعرف على مجتمع جديد وثقافة جديدة
ومقاييس جديدة ، وممارسة هذه التجارب الجديدة كان
الامر الذي طالما احتججه بدر كشاعر وكانسان ، ولكن كل
هذا جاء متأخرا . جاء وجسم بدر مريض ومسؤولية
زوجة واولاد تشده الى العراق .

المقاييس الجديدة والمجتمع الجديد يشجعان

ويدفعان الفرد الى العيش بل ويعيرانه اذا لم يعرف كيف
يعيش . وبدر الذي كان مملوءا حيوية وزخما لا يجد ، وقد
كبله المرض ، في البلد الغريب الخديدمقدرة على شيء
غير العودة الى الماضي ونبش احداثه وربطها بالحاضر .
ويتنقل بدر بين عدة بلدان حاملا جسمه المريض
ومعونات الاخرين ونفسه الغنية المتشوقة العاجزة ، يمضي
الايام بين حنين الماضى لم يعشه وصدف يندم عليها
وفراش يرتبط به .

في ديوان (شناسيل بنت الجلبى) نجد بدرا الذي
عرفناه في ديوانه الاول الذي لم يطبع الحنين واللهفة والندم
والحس الموجه بمرور الزمن .

اكانت قسوة من الايام ان يلاقي بدر كل هذه
المصائب او هو جحود من مواطنيه الا يلقي بدر ما يستحق
من تجيل وتكريم ، ام انها حقيقة الحياة جحود لا منطلق له؟
قد يكون واحدا من هذا او قد يكون هذا كله مجتمعا ،
فليس بذي جدوى البحث عن الاسباب ، والنتيجة الموجهة
لا يمكن تغييرها : لقد مات بدر شاكر السياب !

هل نطلب الرحمة لبدر ، ام للايام التي لاقته بكل
هذا الجحود ؟

ديزي الامير